تأمّلاتُ الشّيخ رِضوانَ في حاضرةِ تِلمسَانَ وَ بَاقَةِ السُّوسَانِ •

أ.د. رضوان محمد حسين النجّار
أستاذٌ مُمَيَّزٌ للتعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تلمسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿1﴾

﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾[1]

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، الذي أفتتحَ فاتحةَ الكتابِ بسورةِ البقرةِ ليصطفيَ مِنْ آلِ عمرانَ رجالاً و نساءً و فضَّلهم تفضيلا ...

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، الذي شَرَّف اللغةَ العربيَّةَ عَلَى سائرِ اللُّغاتِ، تَشْرِيفَ المُرْسَلِ بها على جميع الأنبياءِ و الرِّسَالاتِ.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، الذي خَلَقَ الناسَ أجمعينَ، و صَلَّى و سَلَّمَ على أشرف البشرية عبدِه المُصْطَفى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الأُمِيِّ الهَاشِمِيِّ القُرَشِيِّ العَرَبِيِّ الأمين، الّذِي بعَثَهُ اللهُ العظيمُ بالحقِّ المُبينِ ، و الذي أَرْسَلَهُ اللهُ رحمةً للناسِ أجمعينَ (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ)[2].

الصَّلاةُ و السّلامُ دواماً عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي رسولَ اللهِ ، إِنَّكَ خَاتَمُ الأنبياءِ وَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ.

وَ صلَّى اللهُ عَلى آلِكَ الطّاهِرِينَ ؛ ابنَتِكَ الرَّيْحانةِ فاطمةَ الزَّهْراءِ ؛ زَوْجِ عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَ زَوْجَاتِكَ الكريماتِ الطّاهِرَاتِ، و في مُقَدَّمَتِهِنَّ خَدِيجَةُ أُمُّ البَنِينَ ، وَ عَائِشَةُ أُمُّنَا أُمُّ المؤمنينَ.

صَلَّى اللهُ عَلَى كلِّ آلِكَ الكِرَام ، إِنَّهُم أَهْلُ الْحَقِّ ، مَصَابِيحُ الظُّلَمِ، وَ مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ وَ النِّعَمِ ، وَ شَآبِيبُ الرَّحْمَةِ وَ الحِكَمِ ، وَ جَلاَبِيبُ الْخَيْرِ وَ الكَرَمِ.

وَ رِضْوَانُ اللهِ تعالَى عَنْ صَحَابَتِكَ الميامينِ الْمُنْتَخَبِينَ، الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ الذين سجدتْ لآدابِهم جِبَاهُ الْمَنَاقِبِ، وَ قَبَّلَتْ أَخَامِصَ هِمَمِهِم شِفَاهُ النُّجُومِ الثَّواقِبِ،و في مُقَدَّمَتِهِم الخلفاءُ الراشدونَ – رضيَ اللهُ تعالى عَنْهُمْ و أرضاهُمْ أجمعينَ – وَ هُم : ثانيَ اثنينِ في الغارِ[3] الصِّدِّيقُ أبوبكرٍ، أوّلُ الخلفاءِ الراشدينَ، و أبو أسماءَ ذاتِ النِّطَاقَيْنِ ابنةِ الأكرمينَ ؛ و ثاني الخلفاءِ الراشدين أميرُ المؤمنينَ الفاروقُ عُمَرُ ، ثُمَّ ذو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ ، وَ أبو السِّبْطَيْنِ الحسنِ و الحسينِ عَلِيٌّ، ثمّ خَامسُهمُ الخليفةُ العَادِلُ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ ، كرّم اللهُ وجوهَهُمْ و وجوهَ مَنِ استنَّ سُنَّةَ نبيِّنَا الأميِّ العربيِّ القُرشِيِّ الهاشِمي الأمينِ إلى يومِ الدِّينِ.

(2)

ذَاكَ أَيُّهَا الأخوةُ الكِرامُ – مِنْ قَبْلُ – أَمَّا مَا هُوَ مِنْ بَعْدُ، فَسَلاَمُ اللهِ عليكُم و رَحْمَتُهُ وَ بَرَكَاتُهُ، وَ يَا أَيُّهَا العُلَمَاءُ الفُرْسَانُ في حَاضِرِ هَذا الزَّمانِ..

هَأَنَذَا أُقَدِّمُ لحضراتِكُم إِضْمَامَةً مِنْ بَاقَةِ السُّوسَانِ فِي التَّعْرِيفِ بِحَاضرةِ تِلمسانَ(4.أ.).

الكِتَابُ سَوْسَنَةٌ من سَوَاسِنِ تآليفِ العَصْرِ الحَديثِ لِعاصمةِ دَولَةِ بني زيانَ، ضَمَت أربَعًا و عشرينَ و سِتَّمائةِ صَفْحَةٍ من صَفَحَاتِ المجدِ العِلْمي العريقِ البُنيانِ.

وَ مِنْ وَاجبِنَا نَحْنُ الخَلَفَ حتى نكونَ صالحينَ، أَوْفياءَ مُخلصينَ للسَّلَفِ السَّابقينَ، و أن نَفْخرَ أيَّمَا فَخْرٍ و فخارٍ بعِلْمِ الأَوَّلينَ و الآخِرينَ..

وَ أَهْـــلُ العِلْـــمِ حَقُّهُمُ الذِّكْـــرُ(4.ب.)

أَوَ لَيْسَ "العلماءُ هم ورثة الأنبياء"(5)

وَ مِنْ هُنَا ارْتَأَيْنَا الذِّكْرَ و التَّذْكِيرَ، لهذا المُصَنَّفِ النَّمِيرِ، وَ ذاكَ العالِمِ العَرَبِيِّ الجزائري التِّلِمْسَانِيِّ المؤَلِّفِ النِّحْرِيرِ..

المؤلِّفُ الأستاذُ الأَديبُ و العالِمُ الشَّيْخُ ، الأريبُ ، الحَاجُّ أَبو الزُّبَير مُحمدُ بن رَمَضَانَ – تَغَمَّدَه اللهُ بواسِعِ رَحمَتِهِ – نَزيلُ تِيهَرْتَ و الغَزَواتِ وَ وَهْرَانَ، وَ غَيْرِهَا مِنَ البُلْدانِ، لَكِنَّهُ مِنْ مواليدِ و وَفَياتِ أَهْلِ تِلمْسَانَ(6).

كُنَّا نُؤَمِّلُ أَنْ تَدُومَ حَيَاتُـــــهُ لَكِنَّهُ ثَوْبُ الحَيَاةِ قَصِيـــــرُ(7)

كانَ – رَحِمَهُ اللهُ – مِنْ رجَالاتِ هَذا العَصرِ ، و أعْلامِهِ الْمُبرِّزِينَ الّذِينَ مَضَوا ، كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَ الحُجُون إلى الصَّفَا أَنيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ، وَ لَمْ يَسْهَر هُنَا سَاهِرٌ و لا سَهرانُ، و لَمَّا يُشَمَّ السُّوسَانُ فِي رِيَاضِ تِلِمْسَانَ وَ لَكِنْ تَبَقَّى مِن آثارِهِم فِي هذا الزَّمَانِ، مَا يَدُلُّ على أَثَرِهم في حَاضرَةِ بَنِي زَيَّانَ:

تِلكَ آثَارُنا تَدُلُّ عَلَينَـــــــا فانْظُرُوا بَعْدَنَا إلى الآثَـــــارِ(8.أ)

ثمانونَ عَامًا هجريّاً و نَيِّفا قَضَاهَا الشَّيْخُ رَمَضَانُ الشَّاوشُ في خِدمَةِ لُغةِ القرآنِ الكريمِ ، اللِّسَانِ العـــــربيِّ الْمُبِيْنِ. بِعَمَلِهِ فِي سِلْكِ العِلْمِ و التَّعْلِيمِ، وَ مُبَاشَرَتِـــهِ التَّأليـــفَ و التَّصْنِيفَ...

يَتغَيَّرُ بِهِ الحالُ مِنَ الْمُمْكِنِ إلى المُحَالِ، و مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ، حتَّى قالَ لسَانُ حَالِهِ مَعَ الشَّاعِرِ الصَّحابيِّ حُمَيْدِ الهِلاَلِيِّ (رَحِمَهُمَا اللهُ) :

مِنَ ايِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَصْبَحْتَ تعجَبُ

وَ فِي أيِّ هَذا الدَّهْرِ أَمْسَيْتَ تَرْغَـــــبُ

أَتَنْسَى عَدُوًّا سَارَ نَحْوَكَ لَمْ يَـــــزَلْ

ثَمانِينَ عَامًا قَبْضَ نَفسِـــكَ يَطلُـــــــبُ

تقَعَّدْتُهُ عَصْرًا طَويـــــــلاً أروضُـــهُ

يَلِينُ وَ يَنْبُو تَارَّةً حِيـــنَ أَرْكَـــــــبُ(8.ب)

أَهْدَى المؤلّفُ كتابَهُ ... وَ لِكُلِّ اهداءٍ دَلاَلَةٌ(9) .

فَهُوَ – رَحِمَهُ اللهُ – لَمْ يُهدِه كما يفعَلُ الآخرونَ، إلى "مِسيو" و لا إلى "مَدَام" أو "مَدمُوزيلْ".. وَ إِنَّمَا أَهْدَاهُ إلى النَّشْءِ الصَّاعِدِ التِّلِمسانيِّ – بخاصَّةٍ –.

وَ نَحْنُ بِدَوْرِنَا نُقدِّمُهُ – أيضاً – هَديَّةً إلى النَّشءِ الصَّاعدِ العربيِّ الإسلاميِّ – بعَامَّةٍ – .

إنَّ الفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَـــــذَا لَيْسَ الفَتَى مَنْ يَقولُ كَانَ أَبِي (10) .

{3}

نظمَ كَثِيرُونَ مِنَ الشُّعَرَاءِ قَصَائِدَهم في محاسِنِ تِلمسَانَ. بَيْدَ أنَّ المؤَلِّفَ – رَحِمَهُ الله – نَثرَ كِتابَهُ، وَ تخيَّر – عُودَهُ، فاختارَ قصِيدَةً بَل شَاعِرًا مِنْ فِلِسْطِينَ لِيُمَهِّدَ بِهَا كتابَه بَاقةَ السُّوسَانِ(11).

وَ في هذا الاختيارِ المقصودِ مِن لدُن المؤلِّفِ الأديبِ المحمودِ، عَوْدَةٌ – و العَودُ أَحمَدُ إنْ شاءَ اللهُ تعَالى – لِتأكِيدِ دَعَائِمِ الإيمانِ، وَ توطيدِ أركانِ البُنيَانِ، بَيـــــنَ فِلِسْطِينَ و تِلِمْسَانَ، الضاربِ فِي أَعْمَاقِ التَّاريخِ قِدْمًا وَ حِدْثَانًا..

فإذا جاءَ الشَّاعرُ الفلسطينيُّ رَشَادُ بنُ يوسفَ أحمدَ، وَ جَاءَ غَيْرُهُ مِن أبناءِ فلسْطِينَ فِي السَّنَواتِ الأولى مِن عَهدِ الاستقلال، و لا يَزالونَ مُشَارِكِيْنَ فِي بناءِ الصَّـــرْحِ العلمِيِّ و المَجْدِ الأدبيِّ، لِجزائرِ المليونِ و نصْفِ المليونِ شهيد. بل لجزائرِ الملايينِ من الشهداءِ الأبرارِ عَبْرَ قرنٍ و ثلاثةِ عقودٍ ونّيفٍ من سِنِي الجهادِ و القتالِ، و مقارعةِ الاستدمارِ الصّليبي الغاشمِ ، و الاستبدادِ الفرنسي البغيض.

فإنَّ عُلمَاءَ تِلمْسَانَ قدْ أَدَّوا – قدِيماً – دَورًا علميًّا هَامًّا فِي فِلِسْطِينَ.

حَيثُ أولوْهُمْ أَهْلُ فِلِسْطِينَ المَناصِبَ العُلْيَا، وَ قلَّدُوهُمُ المَوَاقِعَ الرفيعَةَ الرَّائـــــدة.

وَ فِي أطيبِ بُقعَةٍ مِنْ بقاعِ فِلِسْطِينَ فِي القُدسِ الشريفِ، حَيثُ وُلِّى القاضِي برهانُ الدِّينِ أَبُو إسحاقَ التلمساني، مَنصِبَ القضاءِ المالكي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَ خمسِينَ وَ ثَمَانمِئَةٍ هِجْرِيةٍ.

وَ لَمْ يَقِفِ الأَمْرُ عِنْدَ حَد القضاءِ وَ حَسْبُ، بَل ارتضى أَهْلُ فِلسْطِينَ للشيْخِ شِهابِ الدِّين أَبي العَبَّاس أَحْمَدَ التلِمْسَانِي، أَنْ يَتولى مَنْصِبَ قَاضِي القُضَاةِ فِي فِلسطينَ وَ ذلكَ عَامَ سَبْعَةٍ وَ ستِينَ وَ ثَمانِمِئةٍ هجرية.

وَزارَ العَلاَّمَةُ التِلمسَانيُّ أَحْمَدُ بنُ مُحَمدٍ المقَّري فلسطينَ، سَنةَ تِسْعٍ وَ عِشرينَ بعدَ الألفِ مِنْ هِجْرَةِ سيدِ المُرْسَلِينَ، وَ تركَ فِيهَا بعَامةٍ وَ فِي بَيْتِ المقدسِ بخاصَّةٍ، أَحبَّـاءَ وَ أَصْدِقاءَ وَ تلامِذةَ وَ مُريدِينَ، وَ كُلُّهُمْ يَهْتِفونَ باسْمِهِ، وَ يَتشرَّفُونَ بالانْتِمَاءِ إِلَيْـــهِ، وَ الانْتِسَابِ إِلى مَا انْتسبَ لهُ. وَ لا نسْهُو عَنِ الوَقفِ الإِسْلامِيِّ التِلمْسَانِيّ، الذي أُنْشِيءَ زمَنَ الفارسِ القَائِدِ صَلاحِ الدينِ الأَيُوبِيِّ، و في جُزءٍ مِنْ أرضِ الحَرمِ المُقدَّسِ المُجَاورِ للمَسْجِدِ الأقصَى (الذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) و الذي يَرْجعُ إِلى أوقافِ الشَّيْخِ سِيدي أَبي مدْيَنَ الغوْثِ[12]، دَفِين تُرْبَةِ العُبَّادِ بتِلمسَانَ، عَامَ أَرْبَعَةٍ وَ تِسْعِينَ وَ خَمْسمِئةٍ هِجْرِيَة. فلا عَجَبَ – أَيُّهَا الإِخوَةُ الكِرَامُ – إذا مَا قال لسَانُ حالِ محدِّثِكُمْ وَ مُخَاطِبِكُمْ الشيخ النجّار رضوان مَا قالهُ عَلَمٌ مِن عُلمَاءِ الجَزائِرِ هُوَ الأُسْتاذُ الجيلالِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ – لافُضَّ فُوهُ – :

قال : (أَنا لاَ أَكَادُ أَرْتاحُ لِذِكْرِ مَدِينةِ بلدِ الجدارِ تلمسانَ، إلاَّ بِذِكْرِ اسْمِها مَقْرُونًا باسمِ مدينةِ القدسِ المُبَارَكةِ مِنْ تِلكَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، أرضِ فِلسْطِينَ)[13.أ].

وَ للهِ دَرُّكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الجيلالي، وَ أَنْتَ تَدْعُو و تقترحُ عامَ خمســـةٍ وَ تسعيـــنَ و ثلاثمِئةٍ و ألفٍ هجرية إلى قيامِ التوأمَةِ، وَ رَبطِ مَدِينةِ القدْسِ الشريفِ تثبيتا وَثِيقا لِمَا بَيْنهُمَا مِن عَلاقةِ الصدَاقةِ و الوُد و الإحسان، حتى تستْمِرَ هذه العَلاقةُ مُتَّصِلةً مُنتظِمَةً لا تَنْفَصِمُ عُرَاهَا، وَ لا يَزولُ بحَوْلِ اللهِ تعَالى ، مَقْصَدُهَا وَ مُبْتَغَاهَا[13.ب].

حَقّاً إِنَّهَا القدسُ ... أَجَلُ القدسُ ... بِهَا تَرَجَّلَ محمدٌ صلواتُ اللهِ وَ سَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ ، عَنْ البُرَاقِ يَخْطُو عَلَى حَبَّاتِ رَمْلِ المسجدِ الأَقْصى المباركةِ.

نُورٌ على نُور ... يتعانَقُ الإنْسَانُ المُبَارَكُ بالأرْضِ المُبَارَكَةِ.

فَأَيُّ مكانٍ جديرٍ بالاعتزازِ أكثَرُ من هذا المكانِ ،

أجَل إنَّها القدسُ ... بوابَةُ السَّمَاءِ وَ سَمَاءُ اللهِ الأُولى ...

القدسُ وَ الصَّخْرَةُ المُشَرَّفَةُ التي هَالَها أنْ يُغَادِرَهَا مُحَمَّدٌ صُعُوداً ، فَهَمَّتْ لِلْحَاقِ بِهِ ...

مِنْ هُنَا صَعَدَ مُحَمَّدٌ ... الطريقَ إلى (سِدْرَةِ المُنْتَهَى)... حيثُ (جَنَّةُ الْمَأْوَى)... فالموقفُ لاَ يَنَالُهُ إلاَّ الحبيبُ الأقربُ إلى اللهِ تَعالى، إنَّهُ مُحَمَّدٌ بن عبدِ اللهِ ... رُوحِي فِدَاهُ(13.ج) ...

إنَّ إقْدَامَ شيْخِنَا فِي هذِهِ التَّأَمُّلاَتِ، الشَّيْخُ رَمَضانُ الشَّاوش عَلى هذا الاخْتِيارِ لَهُوَ تكريمٌ مِنْ ابن تِلِمْسَانَ لِفِلسْطِينَ بَلْ لِكُلِّ مَا هُوَ مِنْ، أهْلِ فِلسْطِينَ..

وَ بذلكَ للمُؤلِّفِ – كَغَيْرِهِ مِنْ أبناءِ جَزائِرِ الشُّهَـــــدَاءِ – حَقٌّ لاَزِمٌ لاَزِبٌ، وَ فرْضُ عَيْنٍ وَاجِبٌ..

وَ عَلى كُلِّ ابنٍ مِنْ أبْناءِ فلسْطِينَ، رَدُّ الحَقِّ.. وَ أدَاءُ الفَرْضِ ..

و هَأنَذَا أتَحَدَّثُ، لعَلِّنِي أُؤَدِّي ذَاكَ، مَعَ عِلمِي أنني لنْ أُقَدِّمَ، سِوى غَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ...

﴿4﴾

وَ قَبْلَ الحَدِيثِ، جَالسْتُ – وَ خيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ – كتابَ (بَاقِةِ السُّوسَانِ فِي التَّعْرِيفِ بحاضِرَةِ تِلِمْسَانَ، عَاصِمَةِ دَوْلَةِ بنِي زيَّانَ).

فوَجَدْتُ حَالِيَ كالغَوَّاصِ عَلى الدُّرَرِ فِي قَعْرِ اليَمِّ، كُلَّمَا وَقَعَ عَلى خَرِيدَةٍ تَرَاءَى لَهُ مَا هُوَ أَسْمَى و أَسْنَى... فيَحَارُ و اللهِ أيُّهَا يَلْتَقِطُ :

هَكَذا شَأنُ القَارئ الظَّمآنِ الوَلهَانِ بحَاضرَةِ تِلمْسَانَ، طالمَا يَسْعَى بَيْنَ صَفحَاتِ كِتابِ بَاقةِ السوسَانِ.

وَ الْتَقَطْتُ فريدَةً، هِي ذاتُ شأنٍ وَ مَعْنًى بِمَنْزِلَةِ حَاضِرَةِ تِلمسانَ فِي بَاقةِ السُّوسَان، مُوَازنةً وَ مُسَمى.

و مُسَمَّيَاتُ تِلمْسَانَ نَظْمًا، كثِيرَةٌ وَ وَفِيرَةٌ، حَيْثُ بَلَغَتْ ثلاثينَ وَنِّيفا.. شَمِلتْ أَكْثَر مِنْ ثُلُثِ حُرُوفِ الهِجَاءِ العَرَبِيِّ .

فَفِي البَاءِ نجدُ تلمسانَ لَدَى الشَّاعِرِ الفِلسطِينِيِّ رشادِ يُوسفَ أَحْمدَ أَنَّهَا :

بَلدُ الأهِلَّةِ

تِلمَسْنُ يَا بَلدَ الأَهِلَّـــــــــــهْ نَشرَ السَّــلامُ عَلَيْكِ ظِلَّـــــــهْ

وَ حَبَتْكِ هَامَاتُ المَـــــــــآ ذِنِ بالتَّحِيَّـــــــةِ وَ التَّجِلَّه[14]

ثم هي لَدَى آخرَ :

بَلدُ الجَدَاولِ

بَلدُ الجَدَاولِ مَا أَمَرَّ نَـــــــوَاهَا كَلِفَ الفُؤادُ بحُبِّهَا وَ هَوَاهَـــا[15]

يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا يَكفِيــكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَ هَوَاهَا

وَ فِي الجيمِ جَيَّمتْ حَاضِرَةُ بَنِي زيانَ جيمًا حَسَنةً ، حَيثُ توافرَتْ مُسمياتُهَا وَ تأكَّدَتْ مَا بَيْنَ **جَوْهَرَةِ المَغْرب** ، إلى **جَنَّةِ الأَرْض** ، ثم هي **جَنَّةُ الدنْيَا**.

وَ حُقَّ لها أن تكونَ ذلك إذا ما عَلِمْنَا أنَّ الشاعر قام بواجبه حيالَ هذه المُسَمَّيَاتِ. إذْ قام بصرع البيتِ الأوّلِ من لاميته على الطويل. فرفضَ القبضَ و صحح العروضَ، لتكونَ مع ضربها الصحيحِ ملائمةً إلى مسمّياتِ تلمسانَ الصحيحةِ، و آها انطلق لسانُه مُنْشداً.

سَقى اللهُ مِنَ صَوْبِ الحَيَا هَاطِلاً وَبِلاً رُبُوعَ تِلمْسَانَ التِي قدْرُهَا اسْتَعْلَـــى

بِهَا شَيْخُنا المَشهُورُ فِـي الأرض ذِكْرُهُ أبومِدْيَن أهْلاً بِـهِ دَائِمًا أهْـلاً
وَ عُبَّادُهَا مَا القلبُ نـاسٍ ذِمَامَهُ بِهِ رَوْضَةٌ لِلخَيْر قـدْ جُعِلتْ حَلاً
لَهَا بَهْجَةٌ تَزْرِي عَلَى كُلِّ بَلْـدَةٍ بِتَاجٍ عَلاَهَا كَالعَرُوسِ إِذَا تُحْلَـى
فيَا جَنَّةَ الدُّنْيَا التِي رَاقَ حُسْنُهَـا فحَازَتْ عَلَى كل البِلادِ بِهِ الفُضْلاَ(16)

يُؤَكِّدُ المَقّريُّ أحمدُ بنُ محمدٍ، المتوفى سَنَةَ إحدى و أربعينَ بعدَ الألفِ الهجريَّةِ هذا المُسَمى، جَنَّةَ الدنيَا لِتِلمْسَانَ، و الذِي وَسَمَه إياها -- مِن قبلُ – الطبيبُ الأديبُ، الشاعرُ الوَشَّاحُ محمدُ بنُ أبي جُمْعَةَ التَّلاَلِسيُّ أصْلاً ، التِلمسَانيُّ دارًا في لاميته و في هذه الرّائيةِ على الطويل ، وَ حُقَّ لتلمسانَ أنْ تبقى معَ الطويلِ، و الطوالِ أبدا وَ لِمَ لا ! فهي كما يقول المقّريّ :

بِلادِي التِي أهْلِي بِهَا وَ أَحِبَّتِـي وَ رُوحِي وَ قلبِي و المُنَى وَ الخوَاطِرُ
تُذَكِّرُنِي أنْجَادُهَا وَ وِهَـادُهَا عُهُودًا مَضَتْ لِي وَهِيَ خُضْرٌ نوَاضِرُ
بِحَيْثُ الصَّبَا وَ التُّرْبُ وَ المَاءُ وَ الهَوَى عَبِيرٌ وَ كافُورٌ وَ رَاحٌ وَ عَـاطِـرُ
إذِ العَيْشُ صَافٍ وَ الزّمَـانُ مُسَاعِدٌ فَلا العَيْشُ مَمْلولٌ وَ لا الدهْرُ جَائِـرُ
سَـلامٌ عَلى تِلكَ العُهُودِ فإنهَا مَـوَارِدُ أفْراحٍ تَلَتْـهَا مَصَـادِرُ
وَ مَا جَنَّةُ الدنْيَا سِوَى مَا وَصَفْتُـه وَمَا ضَمَّ مِنْهُ الحُسْنُ نَجْدٌ وَحَاجِرُ(17)

أمَّا الآخَرُ فَلاَ تَكْفِهِ أنْ تَكُونَ تِلمْسَانُ جَنَّةَ الدنيَا وَ حَسْبُ. لكِنَّه يُرِيدُهَا – أيضًا –

– جَنَّةَ الأرْضِ وَ جَوْهَرَةَ المَغْرِب:

وَ هَا هُوَ ذَا يُنَادِيهَا فيَقولُ على الكاملِ المُتكامِلِ المُقَفَّى المُنَوَّنِ قائلاً :

يَا **جَوْهَرَةَ المَغْرِب** يَا نُورَ الأعْيَـانِ أنْتِ **جَنةُ الأرْضِ** يَشْتَهَاكِ كُلُّ إنْسَانِ

وَ فِي **حَرْفِ الخَاءِ** الذي فِيه الخيْرُ، وَ يَكونُ أصْلاً لاَ غَيْرَ. تِلمْسَانُ خَيْرُ دَوْلَةٍ:

يَا مَنْ أثرْتِ العَـــــــــــــاليـــ ن يَـــــوْمَ كُنْتِ خَيْرَ دَوْلَـــــهْ
تتـــــــــــــوَارَثُ الأجْيَـــالُ آ يَة مَجْـــــدِهَا فِي كلِّ رحْلَهْ[18]

وَ إذا كانَتْ تلمْسَانُ مع الخاءِ خَيْرَ دَولةٍ، فإنَّهَا مَعَ الدالِ دَوَّلَتْ دَوْلةَ المُلكِ حَوْلَ دَارَيْنِ :

دَارِ المُلكِ وَ دَارِ العِلمِ ، وَ صَاحِبُ الأولى على الطويل يقول :

سَلامٌ عَلى تِلـــكَ العُـــهُودِ رَضِيـــةٌ فعَهْدُ بَنِي زَيَّانَ بالفَخرِ مُفْعَـــمُ
فأكرِمْ بِـــدَارٍ هَـــــؤلاءِ بُنَـــاتُهَـــا وَ أبْنَاؤهَا، إنَّ الخُلـــودَ لُمغـــرَمُ
وَ آخِـــرُ دَعْـــوَى المُخْلِصِينَ تحيـــةٌ تِلمسَانُ دَارُ المُلكِ تَحْيِي وَ تَسْلمِ

أمَّا صَاحِبُ **دارِ العلمِ** فيُخاطِبُ هَا حَاضِرَةَ بنِي زيَّانَ، و أذكر أننا لا زلنا مع الطوال، و الأمرُ كذلك فنحن ما زلنا في تلمسانَ و معَها :

تِلمْسَانُ دَارُ العِلمِ سَاعَدَكِ الـــدَّهْرُ بِمَدْرَسَةٍ يَشْتاقهَا السعْدُ وَ الفخْرُ
تُذَكِّرُنَا قوْمًا تُنُوسِيَ ذِكـــرُهُـــمُ قرُونًا وَ أهْلُ العِلمِ حَقهُمُ الذكرُ

وَ فِي **حرف الهجاء السين**، و الذي يَرمُزُ في الأبجديةِ للرقم السِّتِّينَ. وَ مع مدينةِ تِلمسينَ، تكونُ السَّلْوى لِكُلِّ الأحِبَّةِ و المحبِّينَ.

﴿5﴾

تِلكَ هِي تِلمْسَانُ، حَاضِرَةُ بَنِي زَيَّانَ، وَفْقَ مَا أثْبَتَهُ الحاجُّ محمدُ بنُ رمضانَ في باقةِ السُّوسانِ:

تِلمْسَانُ أنْـــــتِ **عَـــرُوسُ الدُّنا وَحُلْمُ اللَّيالِي وَسَلْوَى المُحِبِّ**[19]

و تلمسانُ عِلْمًا و إيمانًا هي عَينُ الغَرْبِ في شِعْرِ التِّلِمسَاني سعيدِ بنِ عبدِ الله المنداسي، الذي قالَ هَاجيًا الأتراكَ الحاكمينَ تلمسانَ في عهدِهِ، و في هَجْوِهِ مُغالاةً :

أمِنْ قادِرٍ باللهِ يَحْمِي تِلِمْسَانَا ... فَإنَّ بِهَا مِنْ قَوْمِ يَاجُوجَ إخْوَانَا
عَتَوْا وَ اسْتَفزُوا المُسْلِمِينَ مِنَ القُرَى ... وَ قدْ عَبَدُوا حُمْرَ الدَّنانيرِ أوْثَانَا
وَ أكبرُ شيءٍ أفْسَدَتْهُ أكُفُّهُمْ ... تِلِمْسَانُ عَيْنُ الغَرب عِلْمًا وَ إيمَانَا[20]

و تِلِمْسَانُ قد حازتْ كُلَّ مَحْمودٍ بينَ البلادِ و العُرْبَانِ ، و لِذَا هِيَ غُرَّةُ البُلْدانِ :

أتِلِمْسَانُ رَعَاكِ اللهُ بالجُودِ ... وَحَاكَ بُرْدَكِ بالإفْضَالِ وَ الجُودِ
وَصَانَ سُورَكِ وَ الأجْلاَلُ دَخِلُهُ ... مِنْ شَرِّ ذِي شَرٍّ، وَمِنْ كَيْدِ مَعْقُودِ
وَ جَمعَ اللهُ شَمْلَ القوْمِ فِي جَلَدٍ ... هِي السَّعَادَةُ بَيْنَ الغِيدِ وَ الصِّيدِ
كانَتْ تُحَدِّثُنِي الرُّكْبَانُ عَنْ شِيَمٍ ... وَ عَنْ عَلاءٍ لَهَا يُرْجَى لِمَقصُودِ
وَ أنَّهَا **غُرَّةُ البُلْدَانِ** مِنْ قِدَمٍ ... بَيْنَ الجَزَائِرِ حَازَتْ كُلَّ مَحْمُودِ

و تِلِمْسَانُ – أيضاً – هِيَ **الفِرْدَوْسُ التي يَحِنُّ إليهَا رضوَانُ**، وَ كُلُّ إنسَانٍ من خَلِيلِ الرَّحمنِ إلى وَهْرَانَ :

مَالِي أحِنُّ لَكُمْ شوْقًا تِلِمْسَانُ ... كمَا يَحِنُّ إلى **الفِرْدَوْسِ (رَضْوَانُ)**
وَ مَا لِقلبِي يَهْفُو كُلَّمَا طَرَقَتْ ... أُذْنِي بِذِكرِكِ، وَ الأشوَاقُ نِيرَانُ
باللهِ مَاذا التَّصَابِي قَبْلَ رُؤْيَتِكمْ ... وَ مَا لِقَلْبِي لَمْ يُرحْهُ تَحْنَانُ
مَهْلاً رفاقِي أمَا كانَتْ تِلِمْسَانُ ... فِي سَالِفِ الدَّهْرِ كالفِرْدَوسِ تَزْدَانُ[21]

وَ تِلِمْسَانُ **قَرارةُ تِهِيَامٍ و مَغْنَى صَبَابَةٍ ثم مُنَى النَّفْسِ و مَعْهَدُ أُنسٍ**، وَفْقَ قَوْلِ ابنِ خَمِيسٍ مُتَشَوِّقًا إلى حاضرةِ بَنِي زيَّان. حيث أبقى تلمسانَ في محورِها السليمِ بين الطوال في قوله الآتي ذكره على الطّويلِ الخائي المُصَرَّع، الصحيحِ عروضاً و ضربا :

تِلِمْسَانُ لوْ أنَّ الزَّمَانَ بِهَا يَسْخُو مُنَى النَّفْسِ لاَ دَارُ السَّلامِ وَلاَ الكَرْخُ
قَرَارَةُ تِهيَامٍ وَ مَغْنَى صَبَابَـــةٍ وَ مَعْهَدُ أُنْسٍ لاَ يُلَـــذُّ بِهِ لَطْخُ[22]

و قريبٌ منه أيضاً ، و لكن على المتقارب :

أمَانًا رُبُـوعُ النَّـدَى وَ الحَسَـبْ أَمَانًا تِلِمْسَـــانُ **مَغْنَى الأَدَبْ**[23]

أضِفْ إلى ذلك أنَها:

مَهْدُ العُلومِ وَ مَقْصَـدُ التَّاريـخِ عِنْـــدَ بِدَايَةِ كُـلٌّ جَوْلَـــهْ[24]

ثُمَّ هِيَ : **مَغْنَى الهَوَى، مُرَادُ المُنَى، مَقَرُّ العُلا**. لؤلؤة المغرب و غرناطة إفريقية[25].

وَ أيْضًا: **مَلْهَى الغوَانِي، وَ مَرْقَى الأَمَانِي**.

هَاهُوَ ذَا شَاعِرُهَا أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يوسفَ القَيْسِي يقولُ :

يَا حَيَا المُزْنِ حَيِّهَـــا مِنْ بِلادٍ غَرَسَ الحيُّ غَرْسَهَا فِي فُـؤَادِي
وَ تَعَاهَدَ مَعَاهِدَ الأُنْـــسِ مِنْهَـا و عُهُودَ الصِّبَا بِصَوْبِ العِهَـادِ
حَيْثُ مَغْنَى الهَوَى وَ مَلْهَى الغَوَانِي وَ مُرَادُ المُنَى وَ نَيْلُ المُـــرَادِ
وَ مَقَرُّ العُلا وَ مَـــرْقَى الأَمَانِي وَ مَحر القَنَا وَ مَجْرَى الجيَـادِ
كُـــلُّ حُسْنٍ عَلى تِلِمْسَانَ وَقْفٌ وَ خُصُوصًا عَلى رُبَى العُبَّـادِ[26]

ذاكَ بعضُ مَنْزِلَةِ حَاضرةَ بَنِي زيَّانَ عَبْرَ مُسمَّيَاتِهَا، و مُوازنةً مع غيْرِهَا من البُلْدَانِ.

وكلّ الأشعار التي قيلت فيها : (عَلَى اتِّفَاقِ مَعَانٍ و اخْتِلاَفِ رَوِي)[27]:

كُلُّ حُسْنٍ على تلمسانَ وَقْفٌ و خصوصاً على رُبَى العُبَّـادِ[28]

﴿6﴾

وَ هَا هُوَ ذَا شَاعِرُهَا أَبو عبدِ اللهِ القَيْسي يُغْرِي الشُّعَراءَ فَيَقُولُ فِي تِلِمْسَانَ، بعد أن ذهب بزمانها بعيداً ... بعيداً ... حيث العصرُ العربيُّ الجاهليُّ دينيّاً ، و اختار أميرَ شعراءِ ذاك العصرِ ، و حاملَ لواءِ شعراءِ الجاهلية إلى النَّارِ في الدَّار الآخرةِ. إنّه امرؤُ القَيْسِ.

فَلوِ امْرؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ رَآهَـــا ... قِدْمًا تَسَلَّى عن مَعَاهِد مَأسَـــلِ
لوْ حَامَ حَوْلَ فَنَائِهَا وَ ظِبَائِهَـــــا ... مَا كانَ مُحْتفِلاً بحَوْمَةِ حَوْمَلِ (29)

إنَّه إغراءٌ مَا بَعْدَه إغراءُ يا امرأَ الْقَيْسِ..

فهيَّا إلى امتطاءِ فَرَسِكَ المِكَرِّ المِفَرِّ، المُقْبِلِ المُدْبِرِ الذي هو :

كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وَلْتَأْتِ من بَطْنِ حِقْفٍ ذِي الرُّكامِ العَقَنْقَلِ، إلى طِمِيَةِ المُحَيْمِرِ وَ هَضَبَةِ لاَلَّ ستِّي. ثمّ رؤوس تلمسان ؛ الصاغة و القصبة ، و رأس البحر و المصدع(30).

و تَزُورَ جَوْهَرَةَ المغربِ أقاديرَ تِلِمْسَانَ، ثُمَّ الإقَامةُ بعَيْنِ الحوتِ حيثُ مَقَرُّ الإدريسيّ محمّدِ بنِ سُلَيْمَانَ، لِتَشْرَبَ من عَيْنِ العيـــــونِ، عَيْنِ أُمِّ يَحْيَى المتواصلةِ النَّبْعِ و الجَرَيَانِ :

وَ مِنْهُ وَ مِنْ عَيْنِ امِّ يحْيى شرَابُنَـــا ... لأَنَّهَا فِي الطِّيبِ كالنِّيلِ بَلْ أحْلَى (31.أ)

ثمّ

و اقصُدْ إلى الصّفصِيفِ يَوْمًا ثانيًا ... و بِهِ تسَـــــلّ و عنهُ دَأْبًا فاسْأَلِ
وَادٍ تراهُ مِنَ الأزَاهِرِ حَـــــالِيًا ... أحْسِنْ به عُطلاً وَ غيْرَ مُعَطَّـــلِ
يَنْسَابُ كالأيْمِ انْسِيَابًا دَائِمًـــــا ... أو كالحُسَامِ جَلاهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ (31.ب)

فَمَا جَدْوَى البُكَاءِ هناكَ – يا امرأ القَيْسِ – على معاهدِ مأْسَلٍ، و غديرِ دَارَةِ جُلجُلٍ حَيْثُ رُبَى الدَّخُولِ ، و تِلالُ حَوْمَلٍ، مَالَكَ وَضِيَاءَ الذُّبَالِ المُفتلِ ، وَ حُصُونَ تيْماءَ وَ جَنْدَلٍ.

وَ هُنَا كُدْيَةُ العُشَّاقِ وَ غديرُ الجَوْزَةِ، و ربوعُ عطّارَ و قبةُ المَنَارِ و سبعُ شيوخٍ و وادي الفُحول[32].

ثمّ زِقَاقُ الرُّمَّانِ وَ دَرْبُ السُّمَّارِ، و أبْوابُ سُورِ الحَمَامِ و الحديدِ و الجيَادِ و السَّجَّانِ، و بابُ الخميسِ الواقعُ بين المنصورةِ (تِلمسانَ الجديدةِ) و قَصَبَتِهَا إيمامةَ، حيثُ مَقَرُّ إقَامَةِ الشيخِ رضوانَ في حاضرةِ تلمسانَ.

أمَّا لكَ يَا مَرْقَسيُّ من عِوَضٍ عن شَمِّ هواءٍ جَنوبٍ و شَمْأَلٍ ، و ما جاءَتْ بهِ الصَّبَا من ريَّا القَرَنْفُلِ، لِشَمِّ نَسيمِ تِلِمْسَانَ. و التجوال في بستان (جنان) بنت الملاّح القرطبي[33] ، على طريق واد الصفصيف.

حيثُ المياهُ باردةٌ و جاريَةٌ فِي كُلِّ مَكان.

فَمِنَ المفرُوشِ و الوَريطِ إلى وَادِ لالانَ، حيثُ ظِلُّ الأشجَارِ و الأَزْهَارِ أفانينُ و ألوانُ.

أَلاَ آن لَكَ الآنَ مِنْ تَرْكِ عُنَيْزَةَ، وَ أُمِّ الحُوَيْرِثِ و جَارَتِهَا أمِّ الرَّبَابِ .. و فاطمةَ العذريَّةِ، لتُدَنْدِنَ مَعْ فاطمةَ سَهلةَ تِلِمْسَانَ، و مشاهَدَةُ الغِيدِ الغُزْلانِ ، وَظِبَاءِ حَاضِرَةِ بَنِي زيَّانَ.

فكمْ في الوَريطِ مِنَ هَوَاءٍ وَ مِنْ هَوىً ... وَ سِحْرٍ وَ سِرٍ و المُنَى تَتَبَسَّمُ

وكمْ غادَةٍ : (وَ لَكِنْ)

لَمْ تُلتَثَمْ بِسِوَى التُّقَى ... كَبَيْضَةِ خِدْرٍ فهِيَ فِي الطهرِ مَرْيَمُ[34]

كُفَّ – يا امرأ القَيْسِ – عَنْ التّنواحِ !

واتركْ وَحْشَ وَجْرَةَ ، وَ أَسَارِيعَ ظَبْيٍ، و مَسَاويكَ إسْحِلٍ... فهَهُنا القُمْرِيَّةُ شَبِيهَةُ البَدْرِ حينَ يَبَان.... ضاويَةُ الغُرَّةِ غصْنُ البالِ و البان.. مطبوعةُ الأَلماحِ كأنّها مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ. وَ إذا نَفَّذْتَ وَعْدَكَ القَائلَ: (و أَنَّكِ مَهْمَا تأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ)

فإنَّكَ – لَعَمْرِي – وَاجدٌ في تلمسانَ، تِلكَ التي تقدحُ بسهميهَا فِي أَعْشَارِ قَلْبِكَ المُقتَّلِ.

لَسْتَ وَحِيدًا يَا ابنَ حُجْرٍ الكِنْدِي رَاغبًا عن دَارِكَ و دِيارِكَ، عاشقاً هَائِماً في عيُون تِلمْسَانَ. فَغَيْرُكَ كثِيرٌ.. يطلبونَ وُدَّ حَاضرَةِ بَني زيَّانَ

(وَ مَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ لم يُغْلِهِ المَهْرُ)

تِلمْسَانُ لوْ أَنَّ الزَّمانَ هَا يَسْخُو مُنَى النَّفْسِ لا دَارُ السَّلامِ و لاَ الكَرْخُ[35]

وَ لَوْ رآهَا ... أَوْ لَوْ رَأَتْهَا .. !

أميَّةُ لَوْ رأتْهَا وَ هِيَ زَاهِيَـــةٌ لعَافَ مِنْ أجْلِهَا الشَّهباءَ مَــرْوَانُ

نعم يا ابنَ آكِلِ المُرَّارِ، هَاهِيَ ذِه تِلمْسَانُ:

لَوْ أَنَّ الزَّمَانَ بها يَسْخُو، لعافَ مِنْ أَجْلِهَا الشَّهْبَاءَ رِضْوَانُ، و الفَيْحَاءَ مَرْوانُ..

تِلمْسَانُ إني في حِمَى المَجْدِ مُكَــرَّمُ و إنِّي بالآثَــارِ و البَحْــثِ مُغْــرَمُ

و إنَّكِ فِي دُنْيَا الفُنُونِ لتُحْفَــــــةٌ (كَجَنَّةِ عَدْنٍ ، وَ البِــلاَدُ جَهَنَّــمُ)

وَ في كُتُبِ التَّاريخِ ذِكْرُكِ عَاطِــرٌ (و إنَّكِ للأشْرَافِ حِصْــنٌ وَ مَنْعَمُ)

وَ مِثْلُكِ في التَّاريخ فاسٌ و تُونــسُ وَ مُرّاكِشُ وَ القَيْــرَوَانُ المُحَــرَّمُ

وَ عَاصِمَةُ المَهْدِيِّ وَ القَلْعَةُ الّــتي لَقَدْ وَرِثَ،تْ تِيهَرْتُ، وَ المَجْدُ يَهْرُمُ

وَ كُلُّ إمَارَاتِ الصَّحاري وَ بَوْنَــةَ وَسِرْنا العُلاَ، وَ البَعْضُ في المجد أَقْدَمُ

وَ شَارَكْتِ فِي تَمْدِينِ كُلِّ إِمَـــارَةٍ ... وَ لَيْـــلُ (أُرُوبَّا) بِالجَهَالَةِ مُظْلِـــمُ
وَ فَضْلُ بَنِيـــــكِ فِي الجَزَائِرِ كُلِّهَا ... عَلَـــى اللُّغَةِ الفُصْحَى أَجَلُّ و أَعْظَمُ
وَ فِيكِ تُرَاثُ الشَّرقِ وَالغَرْبُ ذَائِبٌ ... بِوَاثِقَـــــةِ التَّفْكِيرِ وَ هْوَ مُأَحَّـــمُ
وَ كُلُّ إِمَاراتِ المَغَارِبِ كُلِّـــــهَا ... تُحَيِّيكِ بِـــالحُسْنَى وَ يَمْنَاكِ تَلْثِـــمُ

تلك تلمسانُ (و ما أدراكَ ما تلمسانُ : المدينةُ ذاتُ الجمالِ الفتّانِ، و المناظرِ الطبيعيةِ الزاهيةِ الألوانِ، و المساجدِ الرفيعةِ الأركانِ، حيثُ إنها كانتْ مقرَّ ذوي السلطانِ، مِنْ أمراءِ بني زيّانَ، ذوي الأكاليلِ و التِّيجانِ، و الصَّوْلَةِ و الصَّولجانِ، و قد كان لهم بها ذكرٌ و عِزٌّ و شأنٌ ، و احتوتْ بفضلهم من دون البلدانِ على خيراتٍ حسانٍ، و معالمَ لا زالتْ شاخصةً للعيانِ، تُبْهِرُ كلَّ سائحٍ و فنّانٍ ، عَبْرَ العصـــورِ و الأزمـــانِ، و تشهدُ بما كان لها في سالفِ الأوانِ ، من التشيّدِ و العُمْرانِ ، و الرِّفعةِ و المكانِ. و إن كانَ بعضُها قد تلاشَى و دخلَ في زوايا الإهمالِ و النِّسيانِ ، بسببِ تعاقُبِ الحَدَثَانِ ، فصَارَ عبرةً لبني الإنسانِ، من شيوخٍ و كهولٍ و شُبَّانٍ ، و لا سِيَّمَا أهلُهَا و الجيرانُ، الذين لم يفترْ لهم سلوانٌ، و لا زالوا يتأسَّفونَ على ما كانَ، و يترنّمونَ بذلك في كلِّ مكان[36].

(7)

وَشَّحَ المُؤَلِّفُ كتابةَ بملاحِقَ و فَهارِسَ قيّمةٍ.

بَدَأَ بِبَيْتِ سَبْعِ قَصَائِدَ وَرَدْنَ فِي وَصْفِ تِلِمْسَانَ، أربعٌ منها من الشِّعْرِ الشعبي الملحونِ ، و ثلاثٌ من الشِّعرِ المعرب الفصيح.

يقول الشاعرُ صِدِّيقُ أحمد المصريَ الذي زار تلمسان حوالي عام 1338 هـ / 1920 م على البسيط :

أتِلمْسَانُ رَعَاكِ اللهُ بالجـــــــودِ وَحَاكَ بُرْدَكِ بالإفضـــالِ و الجُودِ
وَصَانَ سُورَكِ و الأَجْلاَلُ دَاخِلَـــهُ مِن شرٍّ ذي شرٍّ وَ مِنْ كَيْدِ مَعْقُودِ(37)

و يقول الشّاعر عبدُ الرّشيدِ مصطفاوي:

مَالِي أَحِنُّ لَكُمْ شَوْقًا تِلِمْسَـــــانُ كَمَا يَحِنُّ إلى الفِرْدَوْسِ "رِضْوانُ"(381)

و وَصَلَ المؤلّفُ بعد ذلكَ إلى الفهارسِ التي كانتْ بدَوْرِهَا وافيةً وَفْقَ ما سَبَقَهَا.

فبدأ بِفِهْرِسِ الموضُوعَاتِ و كان فِهْرِساً مُفَصَّلاً شَامِلاً ضمن إحدى عشرةَ صفحةً.

و ثَنّى بِفِهْرِسِ الخرائطِ و الرُّسُومِ التي أَثْبَتَها في الملاحقِ، و في ثَنَايا الكتابِ.

وَ أضافَ قائمةً بِصُوَرِ وَ مَعَالِمِ تِلِمْسَانَ التاريخيَّةِ التي زَوَّدَ بها صفحاتِ باقةِ السُّوسانِ، فكانت مائةً و سبعةً و خَمْسِينَ منظراً من مناظرِ المساجدِ، و الأضرحةِ و المآذنِ و المواقعِ الأثريَّةِ، و القصورِ و العيونِ و غيرِ ذلك من المناظرِ العامَّةِ.

و لَمْ يتوقّفِ المؤلّفُ – جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا – عندَ هذا الحدِّ، بل أَضَافَ إلى تلكَ القَائِمَةِ الصُّوَرَ التّذكاريَّةَ للعُلَمَاءِ و الأُدَبَاءِ و الشّيوخِ و المُعَلِّمينَ.

ثم زوَّد المؤلّفُ كتابَهُ بِجَدْوَلٍ تاريخيٍّ لأهمِّ الأحـــداثِ، التي حدثـــتْ بِتِلِمْسَـــانَ و نواحِيهَا منذ الفتح الإسلامي، و حتى استقلالِ الجزائرِ.

و قد اعتمدَ التأريخَ الهِجْريَّ مقدِّمًا إياه على ما يوافقه من التاريخِ الميلاديّ.

كمَا أَعْقَبَ ذلكَ بعدَّةِ خَرَائِطَ للمغربِ بعامّةٍ، وتلمسان و نواحِيهَا كالمنصـــورةِ و غيرِهَا بخاصةٍ.

و دَعَّمَ الخرائطَ بصُوَرٍ لتلمسانَ القديمةِ، و ما تَبَقَّى من آثارِهَا، و الحديثةِ و ما استجدَّ من مِعْمَارِهَا.

وَ أَتمَّ المؤلِّفُ فَهَارِسَهُ بفَهْرَسٍ لأهمِّ المراجعِ، بادئاً بالمراجعِ العربيَّةِ، مُقَدِّمًا الكتبَ على المجلاتِ، ثم مُتْبعاً ذلك المراجع الأجنبية (الفرنسية) من كتب و مجلاتٍ.

و في الصَّفْحةِ الأخيرةِ أُثْبتَ جُزْءٌ من مِئْذَنَةِ الجامعِ الكبيرِ، و هكذا ختمَ كتابَه بما بَدَأَهُ و في ذلكَ دلالةٌ على إيمانِ هَذا الرَّجُلِ، و تَمَسُّكِه بدينهِ الإسلاميِّ الحنيفِ، و عِشْقِهِ المعربيّةِ لُغَةِ الكتابِ الكريمِ، و حُبِّهِ لتِلِمْسَانَ وطنِه الجميلِ الفتَّان.

﴿8﴾

و الآنَ إذا كَانَ لاَ بُدَّ لي (و أنا العَبْدُ العَاجزُ) من كلمةِ حقٍّ، و شَهَادَةِ صِدْقٍ في هَذا المقامِ، و إنصافاً لِشيوخِنَا البَاحِثِينَ الكِرَامِ.

فإنَّهُ مِنْ مَزايا هذا المورِدِ العَذْبِ (باقة السوسان في حاضرة تلمسان). أنَّه عِمادٌ مَتينٌ و كَنْـــزٌ ثَمِينٌ لأهلِ تِلِمْسِينَ، بل للعالَمينَ[39].

يَضُمُّ هذا السِّفرُ النَّفِيسُ فوائدَ مَخْبُوءَةً و أشعاراً مجهولةً.

عَبْرَ لَفْظٍ فَصِيحٍ و نَظْمٍ صَحِيحٍ، وَ قَوْلٍ جَزْلٍ و رأيٍ فَصْلٍ. فَأَخْلِقْ بِهِ مَوْرِداً يكونُ غُنْيَةَ العالِمِ وَ مُنْيَةَ العَالَمِ.

و لَمَّا كَانَ الأحوذيُّ الحاجُ محمدُ بنُ رمضانَ شاوش كَوْكَبًا في سَمَاءِ أَدَبِ العَرَبِ، وَ عَلَمًا مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَ أَعْلاَمِ الأَدَبِ، صَانِعًا مَاهِراً، يُمَحِّصُ حقائقَ العربيَّـــةِ، وَ يُوغِلُ في البحثِ حيَالَ مَكْنُونَاتِهَا.

وَ يَضَعُ الأشياءَ وَفْقَ مَوَاضِعِهَا، فقدْ وُفِّقَ بِعَوْنِ اللهِ المُعِينِ، إلى تقديمِ موادِّ الكِتَابِ لِغَيْرِهِ مِنَ الكُتَّاب، مائدةً مُنَسَّقَةً ذاتَ طَعامٍ نَافِعٍ و فِكْرٍ نَاجِحٍ.

حيثُ أماطَ اللِّثامَ و عبَّدَ الطَّرِيقَ، و أَوْضَحَ النَّهْجَ و مَهَّدَ السَّبِيلَ.

جَعَل المُؤَلِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – مِنْ كِتَابِه بَاقَةِ السُّوسَانِ مَصْدَرَ غَنَاءٍ للأَدِيبِ عِلْمًا و أَدَبًا، نَثْراً كانَ أَمْ نَظْما.

و الكتابُ أمنيةٌ طَالَمَا تَمَنَّاها أَهْلُ تِلِمْسَانَ بخاصَّةٍ، و أَهْلُ لُغَةِ الضَّادِ بعامَّةٍ.

فلمْ يَظْفَرْ بها أَحَدٌ حتَّى أَتَى باقةُ السُّوسَانِ، حيثُ أَجَادَ مؤلِّفُه في تَصْنِيفِه و أَفَادَ، و أَتَى لِحَمَلَةِ الأقلامِ و صاغَةِ الكَلامِ بمَا هُوَ غَايَةُ المُرَادِ.

و إنَّ هَذِهِ المُمَيِّزاتِ مَا هِيَ إلاّ نُغْبَةٌ من فُرَاتٍ زاخرٍ ، وَ بُلْغَةٌ مِنْ زادٍ قيِّمٍ وَافِرٍ.

إنَّ عَمَلَ الشَّيْخِ الأَدِيبِ أَبي الزُّبَيْرِ رَمَضَانَ الشَّاوُشِ، يُعَدُّ بِحَقٍّ مِنْ البَاقِيَاتِ الصَّالحاتِ، و إنَّهُ إحدى الحُسْنَيَيْنِ، و أَيْضًا قُرَّةُ عَيْنِ أَهْلِ الصِّناعَتَيْنِ.

حَفِظَ اللهُ الحفِيظُ شيوخَنَا المُجِيدِينَ المُجَوِّدِينَ، رَافِعِينَ للعِلْمِ مَجْدَهُ، مُؤَدِّينَ للهِ حقَّهُ.

و جَزَى اللهُ تَعَالى – صَاحِبَ بَاقَةِ السُّوسَانِ- المَرْحُومَ الحاجَّ مُحَمَّدَ بنَ رَمَضَانَ شَاوشَ خَيْرَ الجَزَاءِ، جَزَاءَ مَا لاَقَى مِنْ أَرَقٍ و تَعَبٍ وَ نَصَبٍ.

وَ أَجْرَ ما قامَ به من خِدْمَةٍ لِلُغَةِ الضَّادِ؛ لُغَةِ القرآنِ الكريمِ و لِسَانِ العَرَبِ.

و رَحِمَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ، و رابعَ الخُلَفَاءِ المُسْلِمِينَ الرَّاشِدِينَ، الإمامَ عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَ كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ و وجوهَ صحابةِ رَسُولِنَا الكريمِ (صَلَّى اللهُ وَ سَلَمَ عَلَيْهِ و آلِهِ الكرامِ) حَيْنَ قَالَ على البَسِيطِ و مَا هُوَ ببَسِيطٍ:

مَا الفَخْرُ إلاّ لأَهْلِ الْعِلْمِ إنَّهُـــــمُ عَلَى الهُدَى لِمَـــنِ اسْتَهْـــدَى أَدِلاَّءُ

و قَدْرُ كُـــلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ و الجَاهِلُونَ لأَهْـــلِ العِلْمِ أَعْـــدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيّاً بِهِ أَبَـــــــدا النَّاسُ مَوْتى وأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَـــاءُ(40)

وَ مِنْ مِسْكِ الختامِ أَيُّهَا الأخوةُ قَوْلُ القَائلِ : لاَ فُضَّ فُوهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَـا حَياةً كَرِيمَـةً وَ تَغْنَمْ فِي الدُّنْيَا أَماناً و فِي الأخرى
فَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الأنَـام مُحَمَّـدٍ يُصَلِّي عَلَيْكَ اللهُ عَنْ مَرَّةٍ عَشْـراً

اللَّهُمَّ صَلِّ وَ سَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمدٍ وَ عَلَى آلِ سَيِّدِنَا محمدٍ[41].

و "الْحَمْدُ للهِ وَ سَلاَمٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذينَ اصْطَفَى"[42].

● أَعَدَّ هذه التَّأَمُّلات الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار الأستاذ المُمَيَّز للتعليم العالي و البحث العلمي بقسم اللغة العربية و آدابها بكلية الآداب و اللغات بجامعة تلمسان الجزائرية، مُهْدِياً إيّاها إلى حاضرةِ تلمسانَ خاصةً ، و بلادِ الجزائرِ عامَّةً.

لقد عَبَّرْتُ عن شعوري حيالَ أُسْرَتِي الجامعيَّةِ بجامعةِ تلمسانَ بموضوعٍ عنوانه : "وَثِيقَةٌ أَدَبِيَّةٌ" وَ أُعَبِّرُ في هذا الموضوعِ : "التَّأَمُّلاَتُ" عَنْ شُعُورِي حيالَ تلمسانَ خاصةً ، و الديارِ الجزائريَّةِ عامَّةً... أَلَيْسَتْ تلمسانُ عاصمةَ الثقافة الإسلاميّةِ ؟!

هَذِهِ المدينةُ التي احتضنتني قُرَابَةَ ثَلاثِينَ عاماً، و لا تزالُ و للهِ الحمدُ ... أَحْبَبْتُ جِبَالَها ... و عَشِقْتُ سَماءَهَا ... و هَوَيْتُ بَحْرَهَا ... وَ اسْتَنْشَقْتُ هَوَاءُهَا ...

وَ قَدْ أَعْجَبَنِي سُورُهَا وَ وَرِيطُهَا ... و امتزجَ عِلْمِي بِعُلُومِهَا امتزاجَ تَوْأَمَتِهَا ببيتِ الْمُقَدّسِ فِي الأرض الْمُبَارِكةِ فِلِسْطِينَ.

حيثُ تَضُمُّ تُرْبَتُهَا نزيلَ بَيْتِ المقدسِ ماضياً، و دفينَ العُبَّادِ بِتِلمسانَ حاضراً، سيدي أبي مِدْيَنَ الغوثِ طيّبَ اللهُ تعالَى ثَرَاهُ.

هذا الشيخُ الذي أوقفَ حياتَه باثّاً في تلاميذه و مريديه روح الجهاد في سبيل فلسطين، إِذْ خرج المجاهدون العربُ و المسلمونَ كافة، و الجزائريونَ خاصة من المـــدن

و القرى و الحواضرِ و البوادي، قاصدينَ بيتَ المقدس لتحرير المسجد الأقصى تحت إمرة صلاح الدين الأيوبي ، بل كانوا في طليعه جيشه المغوار المقدام.

و كذا أيضاً ذلك الرجلُ عبد المؤمن بن علي الكومي، الذي ولد في أعالي جبلٍ من جبالِ تلمسانَ، و على مَقْرُبَةٍ من إحدى مدنها نَدْرومةَ.

هذا الرجلُ الذي جَهّزَ أسطولاً بحرياً قوامه ثمانونَ سفينةً حربيةً مُشَاركَةً من الدَّوْلَةِ الموحِّدِيَّةِ ، انطلقتْ من مِينَاء هُنَيْنَ بتلمسانَ و ذلك لنجدةِ فلسطينَ، و تحريرها و تطهيرها و تخليصها من أيدي المحتلّين الصّليبيين آنذاك.

حتى أطفالُ الجزائرِ سَجَّلُوا مَوَاقِفَهُمُ التاريخيةَ اتجاهَ فلسطينَ ... هَا هِيَ ذهِ مَرْيَمُ التي لم يتجاوزْ عُمْرُهَا اثني عَشَرَ رَبيعاً ، ذاتُ الأُمِّ الجزائريةِ ، ترفضُ الوقوفَ دقيقةَ صَمْتٍ، التي قُرِّرَ وُقُوفُها على طُلاّبِ المدارسِ الإيطاليةِ تَرَحُّماً على الأطفالِ اليهودِ الذين قُتِلُوا في حادثةِ تولوز الفرنسية. حَيْثُ اعتبرتْ مَرْيَمُ الجزائريةُ أَنَّ المبدأَ و العدْلَ يَقْتَضِي أيضاً تنظيمَ دقيقةِ صَمْتٍ علَى أرواحِ الأطفالِ الفلسطينيينَ الذينَ يَسْقُطُونَ وَ يُقْتَلُونَ يَوْمِيّاً في فلسطينَ برصاصِ الجيشِ اليهوديِّ الصَّهيوني (صحيفة الخبر الجزائرية – العدد 6720 – ص 22 (بتصرف)).

أمّـــا الجزائـــر :

هَذه الجزائرُ الأبيَّةُ التي مَا غَمُضَ لَهَا عَيْنٌ ، وَ لاَ جَفَّ لَهَا دَمْعٌ، و لا سَكتَ لها لسانٌ ، و لا هَدَأَ لَهَا قَلْبٌ ، وَ هِيَ تَنْظُرُ صَوْبَ المَشْرِقِ ، هُناكَ ، هناك ... نحوَ الأرضِ التي باركَها اللهُ تعالى في قَوْلِهِ الكريمِ المُنْزَلِ في القُرآنِ العَظيمِ : "سُبْحَنَ الّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ

لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الحرامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ" سورة الإسراء – بعض الآية الكريمة الأولى.

نعم ! ها هي ته الجزائرُ. كُلُّ الجزائرِ ؛ ينبوعُ كلمةِ الحقِّ الشهيرةِ.

أَوَ لَيْسَ كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ تُرَابِ الجزائرِ تَهْتِفُ ... !

أَوَ لَيْسَ كُلُّ حَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ رِمَالِ الجَزَائِرِ تَنْطُقُ ... !

أَوَ لَيْسَ كُلُّ هَبَّةِ نَسِيمٍ من نسائِمِ بَحْرِ الجزائر تُعْلِنُ ... !

أَوَ لَيْسَ كُلُّ قَطْرَةِ غَيْثٍ تَهْطُلُ مِنْ سَمَاءِ الجزائرِ تَصْرَخُ !

(الْجَزَائِرُ مَعَ فِلِسْطِينَ ظَالِمَةً أَوْ مَظْلُومَةً).

اللهُ أَكْبَرُ ... اللهُ أَكْبَرُ ... و للهِ الحَمْدِ.

إحالاتُ التأمُّـلات :

1. سورة الفاتحة – الآية الكريمة رقم 2

و قبلها (البسملة) رقم 1 الآية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم) من سورة الفاتحة.

2. سورة الأنبياء – الآية الكريمة رقم 107.

3. "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا" – سورة التَّوْبَة (براءة) – بعض الآية الكريمة رقم 40.

4.أ. باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان.

كتابٌ ألّفه المرحوم الحاج محمد بن رمضان شاوش ، وَ أنهى تأليفه لهذا الكتاب في نوفمبر 1983 م، و أشرف على مراجعته و تدقيقه ، و التعليق عليه الأستاذ الحاج الغوثي بن احمدان، و أنهى التعليق في نوفمبر 1992.

و قام ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر بطبعه عام 1995.

4.ب. تلمسانُ دارُ العِلْمِ ساعدكِ الدهرُ بمدرسةٍ يشتافها السعد و الفخرُ

تُذَكِّرُنَا قوماً تنُوسي ذكرهم قروناً و أهلُ العلمِ حقُّهم الذِّكْرُ

قال رمضان شاوش :

و قد نسبَ إليه (إلى شعيب بن علي الجليلي المولود بتلمسان عام 1259 هـ / 1843م و المتوفى أيضاً بتلمسان عام 1347 هـ / 1928 م).

بعضُ أدباءِ تلمسانَ القصيدةَ المنحولةَ في الرخامة المثبتة على أحد جدران المدرسةِ الجديدةِ العربية الإسلامية الواقعة قُرْبَ بابِ سيدي أبي جمعةَ، و التي منها هذان البيتان على الطويل. باقة السوسان 533.

5. قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه و سلّمَ :

"الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنبياءِ ، إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا و لا دِرْهَماً ، وَ إنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ ، فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ". شرح السنة للإمام البغوي – باب فضل العلم 276/1.

6. ولد المؤلف الحاج محمد رمضان شاوش في مدينة تلمسان عام 1329 هـ و تحديداً المصادف يوم الأربعاء 7 جوان (حزيران) 1911 م.

و كانت وفاته (رحمه الله تعالى) أيضاً في تلمسان صبيحة يوم الإثنين الثاني من شهر رمضان المبارك عام 1411 هـ الموافق 18 مارس (آذار) سنة 1991 م.

راجع في حياة المؤلّف و مؤلّفاته : باقة السوسان ص 9 – 11 و قد كتبها و أعدّها الحاج الغوثي بن احمدان – جزاه الله تعالى خيرا -.

7. البيت على البحر الكامل و قافية المتواتر.

8.أ. البيت على البحر الخفيف و قافية المتواتر . راجع في أوزان و قوافي الأبيات : اليتائـــم و النّتفة و المقطوعات و القصائد كتاب المنظومة في العروض، و العروض العربي للشيخ رضوان النجار صاحب التأملاّت.

8.ب. الشاعر الصحابي حميد بن ثور الهلالي –الديوان– ص 49– القصيدة رقم هـــ(5) الأبيات على بحر الطويل و قافية المتدارك.

الديوان – تحقيق علاّمة الهند الأستاذ عبد العزيز الميمني – القاهرة – طبعة لجنة التأليـــف و الترجمة.

9. أنظر : صفحتي الإهداء 14 – 15 في باقة السوسان.

(إهداء إلى النشء الصاعد التلمساني ، ها أني أهدي لك هذا الكتاب المتواضع لأعرفك بماضيك المجيد. لقد سطّرت لك فيه – و لو باختصار ... تاريخ مدينتك ليكون لك اطّلاع موجز على الوقائع و الأخبار التي مرّت بها ..."

و ختم الإهداء بآية من القرآن الكريم حين قال مطالباً النشء التلمساني : (و ليكن شعارك الآية الكريمة : "... إِنَّا وَجَدْنَا آبائَنَا على أُمَّةٍ وَ إِنَّا علَى آثارِهِم مُهْتَدُونَ". بعض الآية الكريمة رقم 22 من سورة الزخرف.

10. البيت على البحر البسيط و قافية المتراكب

و قبله :

كُنْ ابنَ مَنْ شئتَ و اكتسبْ أدبا يُغْنِكَ محمـــــودُه عـــــنِ النَّسَبِ

و البيتان في : (المستطرف في كل فن مستظرف). طبع مصر – 1320 هـــ – 21/1.

11. أثبت محقق الكتاب الأستاذ الحاج الغوثي بن احمدان هذه القصيدة المتكونة من عشرة أبيات في الصفحة 5 من مقدمات الكتاب ، و أظنّه هو الّذي أثبتها لا المؤلّـــف ، و الله أعلم.

قال المحقق في الهامش معقّباً على هذه القصيدة :

أضفنا هذه القصيدة الصغيرة الحديثة العهد ، و جعلناها تمهيداً لهذا الكتاب الجليل مثلما ذكر المؤلف رحمة الله عليه ، ستّ قصائد تصف تلمسان في ملاحقه.

نظم هذه القصيدة شاعر فلسطيني الأصل ، أثناء إقامته بتلمسان في السنوات الأولى من عهد الإستقلال ، حيث كان يعمل أستاذاً بثانوية (الرائد فرّاج) و هذه القصيدة مكتوبة على لوحة معلقة داخل مكتب إدارة تلك الثانوية . 1 هـــ.

قلت : القصيدة على الكامل المجزوء و قافية المتواتر و روي الهاء المقيّد.

12. دفين العبّاد بمدينة تلمسان.

13.أ. مجلة الأصالة – تلمسان و القدس الشريف – ص 104

13.ب. المرجع نفسه – ص 110

13.ج. صلاح عوض – صحيفة الشروق (بتصرف) – العدد 3650

الخميس 18 جمادى الاخره 1433 هـــ الموافق 10 ماي (أيار) 2012 – ص 11.

14. البيتان من قصيدة على الكامل المجزوء للشاعر الفلسطيني رشاد يوسف أحمد، و قام الشاعر بتصريع البيت الأوّل حيث صرّع العروض عن أصلها (متفاعلن) و حولها ملائمة للضرب المرفّل (متفاعلاتن).

راجع الكامل المجزوء و الترفيل في العروض العربي - ص 314 أو 140/2

و قد وردت القصيدة في باقة السوسان – ص 5.

و كان البيت الثاني برواية : و حابتك و بهذه الصورة ينكسر الوزن و الصحيح (وحبتك) و به يكون الوزن سليماً معافى من الخطأ.

و كذلك (تلمسان) في البيت الأول ، الوزن بهذا الشكل مكسور. و الأصح أن تكون (تِلِمَسْنُ).

15. البيتان من قصيدة للإمام ابن مرزوق الخطيب في تلمسان.

تحفة الزائر و الأمير عبد القادر – ص 18 ، و باقة السوسان – ص 39.

البيتان على البحر الكامل التام المقفّى و على قافية المتواتر ذات روي الهاء المطلق.

قال المحقق : يقول الأطباء : إن هواءها صالح للمصابين بالتعب المفرط ، و المصابين بفقر الدم ، و لكل من كان عصبي المزاج ، باقة السوسان (الهامش) – ص 29.

16. الأبيات على بحر الطويل و قافية المتواتر

قالها الحاج محمد بن أبي جمعة التلالسي في تلمسان

راجع : بغية الرواد ليحيى بن خلدون – 17/1 - 18. عن باقة السوسان – ص 19.

17. الأبيات لأحمد بن محمد المقري صاحب نفح الطيب ، قالها متشوّقاً إلى مسقط رأسه تلمسان ، على البحر الطويل و قافية المتدارك.

راجع : نفح الطيب 10/1 – 11.

باقة السوسان – ص 524.

18. قصيدة: تلمسان للشاعر الفلسطيني رشاد يوسف أحمد – باقة السوسان – ص 5.

19. مفدي زكريا – إلياذة الجزائر – على البحر المتقارب و قافية المتدارك.

20. الأبيات على بحر الطويل المصرع عروضه المقبوضة. و أصبحت صحيحة في البيت الأوّل من القصيدة مماثلة للضرب الصحيح.

قال هذه القصيدة الشاعر التلمساني سعيد بن عبد الله المنداسي المتوفى عام 1088 هـ / 1677 م.

قال يهجو الأتراك الحاكمين تلمسان في عهده. قال المعلّق على باقة السوسان و بهامشه : مما لا شك فيه أنه نظم هذه القصيدة التي لا تخلو من مغالاة بعد أن التجأ إلى المغرب الأقصى.

21. مالي أحن لكم شوقاً تلمسان كما يحن إلى الفـــــــردوس (رضوان)

الأصل : رهبان.

هذه القصيدة لرشيد مصطفاوي و فيها بيت هذا نصه :

أعاد أندية بالعلم مزهـــــــــرة فيهـــــا يغني بمجـــــد القوم (رضوان)

الهامش : اسم المغني و المطرب المشهور رضوان بن الموسيقار الكبير الحاج العربي بن صاري.

هامش باقة السوسان ص 566.

22. البيتان لابن خميس من قصيدة على الطويل قالها متشوقاً لوطنه تلمسان، أزهار الرياض 324/2. و راجع باقة السوسان 481.

قال لسان الدين الخطيب في تلمسان : تلمســـان مدينة جمعت بين الصحراء و الريـــف، و وضعت في موضع شريف ، كأنها ملك على رأسه تاجه ، و حواليه من الدوحات حشمه و أعلاجه، عُبّادها يدها ، و كهفها كفّها ، و زينتها زيّانها ، و عينها أعيانها ، و هواها المقصور بها فريد ، و هواؤها ، الممدود صحيح عتيد ...

نفح الطيب 268/4.

العبّاد : اسم القرية المدفون بها الشيخ أبو مدين شعيب – رحمه الله تعالى – زيّانها : الملوك من آل زيّان.

23. مفدي زكريا – إلياذة الجزائر.

24. الشاعر الفلسطيني رشاد يوسف أحمد.

25. باقة السوسان – ص 125.

26. الأبيات على البحر الخفيف المقفّى و قافيته المتواتر. الأبيات لشاعر تلمسان محمد بن يوسف القيسي الثغري. أزهار الرياض – 2 / 330.

27. هذا عجز بيت شعر على البسيط ، و قافية المتراكب و صدره :

أَوْرَاقُ كُدْيَتِهِ فِي بَيْتِ كُلِّ فَتَى

قال الشاعر السائح الهروي. قال المحقق : كان هذا الرحالة كلما زار بلداً إلاّ كتب حظه في حائطه حتى صار مضرب الأمثال.

عن تاريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان 95/3 ، و باقة السوسان – ص 26.

28. البيت على بحر الرَّمَل و قافية المتوافر

أزهار الرياض للمقري 330/2

و باقة السوسان – ص 308.

29. البيتان على البحر الكامل و قافية المتدارك

و قالهما القيسي مخاطباً امرأ القيس في قوله في مطلع معلّقته الجاهلية :

قِفَانَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بسقط اللّوى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

أبيات القيسي في بغية الرواد ليحيى بن خلدون 14/1.

و انظر : باقة السوسان – ص 50.

30. هامش باقة السوسان – ص 332.

31.أ. أم يحيى : اسم عين ماء كانت بالقصور السلطانية بتلمسان ، ماؤها نمير من أعذب المياه، و فيها يقول لسان الدين الخطيب على الكامل :

و إذا حبيبة أم يحيى أنجبت فلها الشفوف على عين العون

نفح الطيب 265/4.

و البيت : و منه و من عين أم يحيى شرابنا

قالها محمد بن أبي جمعة التلالسي على الطويل المصرّع و قافيته المتوافر و رويه اللام المطلقة بالفتح و منها :

سقى الله من صوب الحيا هاطلا وبلا ربوع تلمسان التي قدرها استعلى

فكم نلت فيها من أمان قصيّةٍ و كم منح الدهر المنيف بها النيلا

و كم غازلتني فيها الغيد تلاعبا و كل عذول لا أطيق له قولا

و كم ليلة بتنا بصفصيفها الذي تسامى على الأنهار إذ عدم المثلا

و كدية عشاق لها الحسن ينتهي يعود المسنّ الشيخ في حسنها طفلا

و غدير الجوزة السالب الحجا نعمت به طفلا و همت به كهلا

و منه و من عين أم يحيى شرابنا لأنها في الطيب كالنيل بل أحلى

و عبّادها ما القلب ناس ذمامه به روضة للخير قد جعلت حلا

بها شيخنا المشهور في الأرض ذكره أبو مدين أهلا به دائما أهلا

لها بهجة تزري على كل بلدة بتاج عرها كالعروس إذا تجلى

فيا جنّة الدنيا التي راق حسنها فحازت على كل البلاد به الفضلا

ملاحظات : كدية العشاق : اسم ربوة من الأرض واقعة جنوب الخرطون بين القلعة العليا و العبّاد.

غدير الجوزة : اسم المكان المرتفع الذي ينصب منه ماء الوريط

بغية الرواد 1/17-18 و باقة السوسان ص 500 – 501.

31.ب. الأبيات على بحر الكامل و قافية المتدارك

و القصيدة لشاعر تلمسان أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي ، و فيها يقول :

و اقصد بيوم ثالث فـــــــوارة و يعذب منهلها المبارك فاهـــــل

تجري في درّ لجين سائـــــــــل أحلى و أعذب من رحيق سلسل

و أشرف على الشرف الذي بازائها لترى تلمسان العلية من عـــــلِ

و يقصد بذلك سلسلة جبال لالة ستي التي يبلغ ارتفاع أعلى قمة بها 1306 م و من هضبة لالة ستي تنبع عين غزيرة المياه تدعى "الفوارة" كان عليها مدار شرب أهل تلمسان فيما مضى. بغية الرواد 1/15 و باقة السوسان – ص 33.

32. باقة السوسان 478.

يقول الشاعر شعيب بن علي الجليلي و أصلة من قرية سبع شيوخ الواقعة قرب الفحول من ناحية تلمسان :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلـــة بوادي فحول أو بسبع شيوخ

و هل أردن يوما مياه تـــوافـــز و ألثم ترب آيائي و شيوخي

باقة السوسان 533.

33. بنو الملاّح : من الأسر الأندلسية التي اشتهرت بحسن التصرّف في المال بنو الملاّح القرطبيون الذين نزلوا بتلمسان فاتخذهم بنو عبد الواد أمناء على بيت المال.

باقة السوسان – ص 402.

34. قال مفدي زكريا في إلياذة على المتقارب يذكر الوريط :

و تاه الوريـــــط بشلالـــــه يلقن زرياب معنـــى الطـــرب

و أغـــرى الملوك بحب الملـــو ك و أخلص في حبها كل حب

المحقق : تبعد شلالة الوريط عن تلمسان بنحو ستة أميال ، و هي واقعة على الطريق الذاهبة إلى مدينة سيدي أبي العباس.

35. البيت من قصيدة لشاعر تلمسان ابن خميس قالها على الطويل و قافية المتواتر و روي الخاء. أزهار الرياض للمقري 324/2.

دار السلام : بغداد ، و الكرخ : الحي الشرقي من بغداد.

36. هذا النص مأخوذ من الديباجة التي كتبها المؤلّف الحاج محمد بن رمضان شاوش ، لكتابه باقة السوسان – ص 18.

و اشتهرت تلمسان بأنواع الفواكه، و خاصة الكرز المعروف بحب الملوك الذي اشتهرت به تلمسان، حتى قال عنها أديب الأندلس لسان الدين الخطيب : "ألا أنها بسبب حُب الملوكِ مطمعةٌ للملوكِ" .

أحمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – 4 / 268.

و باقة السوسان – ص 43.

37. باقة السوسان – ص 564.

38. عجز البيت في الأصل : كما يحن إلى الفردوس رهبان، و البيت مطلع قصيدة على البسيط لكنها ليست ببسيطة. و قد أنشدها الشاعر بنادي السعادة بتلمسان أثناء جلسة

من جلسات المؤتمر الإسلامي المنعقد بها سنة 1936. و قد نشرت في مجلة التلمسد التي كانت تصدر آنذاك بالجزائر. باقة السوسان – ص 565.

39. تِلِمْسينَ : سمّاها بهذا الاسم ابن عبد الحكيم في كتابه : فتوح افريقية و الأندلس – ص 90 و 91 من الترجمة الفرنسية.

إذ يقول في كتابه و هو يتحدث عن طارق بن زياد و موسى بن نصير : "و طارق يومئذٍ بتلمسين ، و موسى بن نصير بالقيروان".

كما يقول من بعد متحدثاً عن ابنتي بليان : فأقرهما طارق "بتلمسين" كما أن لفظ (تلمسين) استعمله كذلك ابن خرداذبة في كتابه (المسالك و الممالك) و ابن الفقيه في كتابه (البلدان) و كلاهما من جغرافي القرن الثالث للهجرة.

باقة السوسان – ص 50.

و وردت كذلك (تلمسين) في الذيل و التلملة 4 / 129.

40. باقة السوسان – ص 414.

41. قال تعالى : "إِنَّ اللهَ وَ مَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً" سورة الأحزاب – الآية الكريمة 56.

42. سورة النَّمْل – بعض الآية الكريمة 59.

قُطُوفٌ مِنْ مكتبةِ التَّأَمُّلاَتِ :

أَوَلاً :

● القرآن الكريم

●● الحديث النبوي الشريف

ثانياً :

- الأبشيهـــــي — المستطرف في كل مستظرف – مصر 1320 هـ

- الجيلالـــــي — عبد الرحمن
– تلمسان و القدس الشرف
مجلة الأصالة (عدد خاص عن تاريه تلمسان و حضارتها)
السنة الرابعة – العدد 26
رجب – شعبان 1395 هـ الموافق جويلية – أوت 1975م
(الأصالة مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية مرّة كلّ شهرين) الجزائر.

- ابـــن خلدون — يحيـــــى
– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد
الجـــزائر 1321 هـ / 1904 م

- زكـــــريا — مفـــــدي
– إلياذة الجـــــزائر
الجزائر – ديوان المطبوعات الجامعية

- زيـــــدان جـــرجـــي
- تاريخ آداب اللغة العربية
القاهرة — دار الهلال — د.ت.

- شـــــاوش محمد رمضان
- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان
عاصمة دولة بني زيان
تعليق : الغوثي بن احمدان
الجزائر — ديوان المطبوعات الجامعية — 1995 م
- الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي
الجزائر — المطبعة العلوية بمستغانم
الطبعة الأولى 1385 هـ / 1966 م

- عبد القادر محمـــد
- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر
تعليق : ممدوح حقي
بيروت 1384 هـ / 1964 م

- المـــراكشي ابن عبد الملك
- الذيل و التكملة
تحقيق : إحسان عباس
بيروت — د.ت.

- المقـــري أبو العباس أحمد
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض
القاهرة – 1318 – 1321 / 1939 – 1942
- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب
القاهرة – 1302 هـ.

- النجـــار رضوان محمد حسين
- العروض العربي
الجزائر – تلمسان – مطبعة برصالي
الطبعة الأولى (ثلاثة أقسام في مجلد واحد)
- المنظومة في العروض و القوافي و المصطلحات الموسومة
الجزائر – تلمسان – مطبعة برصالي
الطبعة الأولى – 1427 هـ / 2007 م
رقم الإيداع القانوني 1086 / 2006
بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

- الهـــلالي حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ الهلالي
الديوان – صَنْعَةُ الأستاذ عبد العزيز الميمني
جامعة عليكرة بالهند
الناشر : الدار القومية للطباعة و النشر بالقاهرة
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية
سنة 1371 هـ. 1951 م